البديل
تصدر عن الهيئة الإعلامية المستقلة لدعم الثورة السورية
العـدد (٤١) ٢٠١٢/٦/١٧ حرية ★ عدالة ★ مواطنة www.al-badeel.net 17/6/2012

بعثة المراقبين تعلّق عملها..والنظام يلجأ إلى الذبح يأساً
السوريون يهزمون جرائم الأسد بـ٧٥٠ مظاهرة

دخل النظام السوري الأسبوع الماضي في مرحلة جديدة من الهيستيريا عبر المجازر التي ارتكبها ضد الشعب السوري، حيث استشهد ٥٥٣ مواطناً في عمليات عسكرية استخدمت فيها الطائرات والدبابات والمدافع.

وشهدت جمعة «الاستعداد للنفير العام» ٧٥٠ مظاهرة في أسبوعها الـ٦٦ من الثورة وسط تصاعد الزخم الثوري في معظم المناطق. وارتكبت القوات الموالية للنظام مجازر مروعة في جبل الأكراد ومدينة الحفة في ريف اللاذقية بعد ثمانية أيام متتالية من القصف بالمدفعية والطائرات. وأعلن الجيش الحر انسحابه من المنطقة تكتيكياً حفاظاً على أرواح المدنيين.

ودخلت بعثة المراقبين الدوليين إلى الحفة التي أصبحت منطقة «مهجورة». وفي تطور لافت أعلنت كتيبة الصواريخ في قرية الغنطو بريف حمص انشقاقها بشكل كامل عن جيش النظام، وانضمت بأسلحتها إلى الجيش الحر. وتعرضت مدينة حمص إلى أعنف قصف منذ بدء الثورة، حيث تحاول قوات النظام اقتحامها، فيما ارتكب النظام مجزرتين في كل من حمورية وسقبا بريف دمشق بذبح ٢٠ مواطناً بالسكاكين.

سياسياً، تسارعت التطورات خلال الأسبوع الماضي، وكان أبرزها تعليق بعثة المراقبين الدوليين مهامها جرّاء تصاعد العنف خلال الأيام العشرة الأخيرة، و«غياب الإرادة لدى الطرفين (النظام والمعارضة) في البحث عن حل سلمي انتقالي»، الأمر الذي «ينطوي على مخاطر كثيرة للمراقبين» بحسب رئيس البعثة الجنرال روبرت مود الذي أكد «أن المراقبين لن يقوموا بدوريات، وسيبقون في مواقعهم حتى إشعار آخر».

من جهة أخرى، ذكرت منظمة العفو الدولية إن قوات النظام تقوم بقتل المدنيين بشكل ممنهج يصل إلى حد الجرائم ضد الانسانية. وقدمت المنظمة أدلة من أكثر من ٢٠ موقعا في شمال غرب سوريا. أما منظمة «هيومن رايتس ووتش» فقد اتهمت النظام باستخدام الاغتصاب والعنف الجنسي ضد المحتجين بما فيهم النساء والأطفال.

وبينما أعلنت فرنسا أنها تدرس إمكانية تزويد المعارضة بأجهزة اتصال على غرار الولايات المتحدة، وتّهمت روسيا الغرب بأنه ليس لديه أية سياسة بشأن سوريا، ونفت مناقشتها مرحلة ما بعد الأسد مع الدول الغربية.

وانتخب المجلس الوطني السوري الأكاديمي الكردي عبد الباسط سيدا رئيسا له خلفا لبرهان غليون. واستهل سيدا رئاسته بتأكيده على أن نظام الرئيس بشار الأسد «بات في المراحل الاخيرة».

لعبة الكبار

بينما يذبح السوريون في مناطق الثورة بسكاكين الشبيحة تستمر لعبة الكبار على الشراء والبيع في القضية السورية، وبينما يموت السوريون تحت قصف الطائرات في حمص وحماة والحفة تستمر المواقف الدولية في إجراء حسابات استراتيجية معقدة، وبينما ما زال النظام السوري يعتقل عشوائياً، ويمارس على المعتقلين ما لا يتقبله العقل والضمير البشريين، بما فيها بعض أشكال التعذيب الجنسي، فإن روسيا والغرب يتبادلان التهم، وكل ذلك على حساب سوريا الحاضر والمستقبل.

الشعب السوري صار ينتظر المساعدات الإنسانية، تلك المساعدات التي لو كانت الإرادة قائمة في إيصالها لأي مكان في هذا الكوكب لكانت وصلت الآن، و«ربما» كانت قد وصلت إلى القمر أو المريخ، لكن ليس إلى سوريا، والجيش الحر ينتظر السلاح، وقد تحدثت الكثير من الدول عن نواياها في دعمه، لكن المساعدات العسكرية تأتي بالقطارة، وكأنها تنتظر صلاة الاستسقاء حتى يصل الغيث إلى الثوار، ويبقى هؤلاء الشباب مؤمنين بقضيتهم رغم الوعود التي لم تتحقق، فهم قد اختاروا ألا يكونوا إلى صف القاتل، لكن المستغرب أن الدول باتت تحاول أن تكسب مواقف متقدمة سياسياً على حساب الدم السوري، والتضحيات البطولية لهذا الشعب الذي قرر أن يودع أزمنة الاستبداد.

أمريكا والغرب من جهة، وروسيا وإيران من جهة ثانية، وبينهما بعض البلدان العربية، كلهم يلعبون الآن لعبة الكبار، لعبة المصالح الاستراتيجية، مصالح تدخل فيها حسابات الربح والخسارة «ربما» لعقود مقبلة، بينما ينتظر الشعب السوري لحظة سقوط النظام كي يبدأ بتضميد جراحه، لكن هيهات بين حسابات الكبار وحسابات الشعوب ورغباتها بالحرية والكرامة.

تنفتح في هذه اللحظة التاريخية احتمالات وسيناريوهات كثيرة، والكبار يمارسون ألعابهم من خلف الستار، وما يرشح إلى الإعلام أقل من عُشر الحقيقة، وأحياناً لا يمت إلى الحقيقة بصلة، وفي هذا الوقت يستمر النظام في تحويل الثورة إلى مجرد أزمة، وتحويل نفسه إلى مجرد طرف فيها، وبذلك يتساوى الضحية مع الجلاد، ويفلت القاتل من العقاب، ومن الخطأ الاعتقاد أن ثمة من يهتم بأمر الشعب السوري، ومآسيه، فكل اللاعبين عينهم على الكعكة، وهي كعكة مغمسة بدماء السوريين، وقد كتب عليها أسماء كل الشهداء، وخاصة الأطفال.

الثورة السورية مستمرة، والمطلوب هو انخراط السوريين بشكل أوسع لاقتلاع النظام، و معارضة نظيفة لا تخضع للبيع والشراء والابتزاز، والمطلوب تفويت الفرصة على الكبار، فالثورة الآن لا تواجه النظام فقط، وإنما أيضاً أطماع الآخرين على مصيرها.

ملاذ البحري

ينحدر معظمهم من مناطق الثورة ومهمتهم الخطف وطلب الفدية والسرقة وتهريب الآثار

الوجه الآخر للشبيحة..عصابات منظمة مهمتها تشويه أخلاق الجيش الحر

دمشق- حلب- البديل:

استغل ضعاف النفوس أو ما يطلق عليهم بالطرف الثالث الأوضاع الناجمة عن احتلال جيش النظام لسوريا بطريقتهم الخاصة. هذه الفئة تصنف في الظاهر على أنها غير محسوبة على المعارضة أو النظام، لكن ممارساتها تتقاطع مع سلوكيات مليشيات الشبيحة بامتياز، حيث تمارس أبشع أنواع الجرائم من سرقة البيوت والمحلات التجارية والسيارات وتهريب الآثار والمخدرات، وصولاً إلى ارتكاب جرائم القتل العشوائي بدافع الثأر للنيل من خصومهم القدامى تارة، وتعزيز مصالحهم المادية.

ويقول سكان مناطق الثورة إن تداعيات احتلال النظام العسكري خطف الأضواء عن ملف العصابات الخفيّة. ولدى البحث عن أسباب انتشار هذه الظاهرة واستفحالها تذهب كل التحليلات إلى أنها تطورت بموازة تعمق النزاع والفوضى على الأرض مع مرور الأيام. في بداية الأمر اقتصرت تلك الممارسات على بعض الأفراد، لكنها أخذت منحى تصاعدياً حتى تبلورت كـ«عصابات مدنية» مؤلفة من عدة أفراد، تصل أعدادهم إلى أكثر من عشرة أشخاص، حيث يقصدون المناطق الأكثر توتراً لتكون مسرحاً لعملياتهم، فكانت حماة وريفها في طليعتها ثم تصاعدت داخل أرياف حمص وإدلب عبر الاستيلاء على المحاصيل الزراعية بقوة السلاح. ويكشف الناشط أبو لطفي من مدينة دير بعلبة بحمص الذي نزح إلى دمشق، هوية بعض من هذه العصابات المنتشرة بكثرة في المنتطقة الوسطى، ويقول: «إنهم حثالة المجتمع منحدرين من كل المناطق المنكوبة، كانوا ينشطون في السابق تحت إمرة الجماعات الأمنية وكبار المسؤوليين من عائلة الأسد للقيام بتهريب المخدرات والسلاح بين العراق ولبنان وأحيانا تركيا». ويضيف أبو لطفي الذي يناهز من العمر خمسين عاماً: «رغم أنهم ينحدرون من القرى المنتفضة، لكنهم لا يملكون ذرة حس وطني للوقوف مع الثوار، فضلوا مصالحهم الأنانية على إعانة المنكوبين من أهاليهم». ويضيف: «ممارسات هؤلاء لا تختلف عن وحشية النظام بأي شي».

مسنّة تعانق أحد أفراد الجيش الحر في الرستن

وفي إحدى القرى التابعة لمدينة القصير في ريف حمص، شنت عصابة مؤلفة من عدة أشخاص هجوماً على إحدى المحلات التجارية مطالبين صاحب المتجر بالمال، إلا أن صاحب المحل تصدّى لهم بمساعدة بعض الاشخاص من نفس القرية، ورداً على ذلك هاجمت العصابة القرية بعد منتصف الليل وأطلقت الرصاص الحي بشكل عشوائي على القاطنين، ما أسفر عن مقتل امرأة حامل وطفلها، فضلاً عن إصابة بعض المارة بجروح خطيرة. واللافت في الأمر أن جميعهم من المحكومين سابقاً وخرجوا بعفو.

توسعت الدائرة هؤلاء ونقلوا مسار عملياتهم إلى الطرقات الرئيسية وداخل الأحياء المنتفضة، وهذه النقلة كانت بإيعاز من أجهزة النظام للنيل من سمعة الجيش الحر، وخلط الحقائق على الرأي العام الداخلي والخارجي، فكل تحركات الجيش الحر ضد قوات النظام كانت توازيها في الطرف الثاني ممارسات من قبل هؤلاء موجهة بالدرجة الأولى ضد المدنيين، ويؤكد أحمد وهو موظف في إحدى الشركات الحكومية ويتنقل أسبوعيا بين دمشق وحلب:«أوقفتني مجموعة ملثمة يحمل أفرادها أسلحة كلاشينكوف قرب الرستن، وصادروا السيارة التابعة للشركة تحت التهديد بقتلي». والمثير للسخرية أن أحمد سُجن لأنه عجز عن تسديد الغرامة التي فرضت عليه بسعر السيارة المسروقة، وتعرض إلى التعذيب في أقبية السجون بتهمة تعامله مع الجيش الحر حتى جاء أحد أقربائه لدفع الغرامة.

ويضيف أحمد :«الطريق لم يعد أمناً، معظم تجار حلب استبدلوا سياراتهم الفاخرة بنوعيات عادية خشية من السطو. لا يوحي مظهر وطريقة كلام العصابات المنتشرة بين المدن والطرقات الرئيسية أنهم تابعين إلى الجيش الحر وقوات النظام». ويتابع :«إنهم ضعاف النفوس، استغلوا التدهور الأمني، يختارون السيارات ذات الجودة عالية لبيعها إلى تجار من العراق ولبنان عبر المنافذ الحدودية».

وشكلت الانشقاقات داخل الجيش فرصة جديدة لهؤلاء لتعزيز مصالحهم المادية، فطفت على السطح ظاهرة طلب «الفدية»، والساحة الرئيسية التي تنشط فيها هذه الظاهرة هي قطع الطريق الدولي ما بين حلب ودمشق، وخطف المجندين كأداة لتحقيق تلك الغايات. وهذه الخطوة بحد ذاتها تصب في مصلحة النظام، فمن جهة تلصق التهمة بالجيش الحر، ومن جهة ثانية النظام يظهر نفسه أمام الجنود أنه حاضن أخلاقي مقابل انقلات أخلاقي للجيش الحر. ولا يمضي يوم إلا وتحدث قصة جديدة حول خطف الجنود على الطرقات الرئيسية، وباتت شروط المقايضة معروفة لدى القاصي والداني في سورية: «الإفراج عنهم مقابل خمسمائة ألف ليرة ، ومن يتخلف عن دفع الفدية يجد جثة ابنه على الطرقات» كما حدث مع أبو عزيز من مدينة عفرين التابعة لمحافظة حلب لدى خطف ابنه عزيز وهو قادم من الإجازة :«لم أكن أملك سوى مائة ألف من أجل المقايضة، لكنهم أصروا على زيادة المبلغ، وفجأة أخبروني أن ابني أصبح في عداد الأموات، وجثته باتت مرمية مقابل بلدة معرة النعمان بإدلب..لقد قتلوه».

كما أصبح المدنيون وبالتحديد نساء وأطفال العائلات الثرية والميسورة بغض النظر عن مواقفهم من النظام أو الثورة عرضة للخطف من أجل طلب الفدية، وتنشط هذه الظاهرة في ريف دمشق خاصة في منقطة القلمون (دير عطية والنبك)، حيث تقوم بعض العصابات من المنطقة نفسها والتي كانت تعمل في السابق بالتهريب بتعاون مع أجهزة النظام بخطف أبناء الاثرياء، وطلب مبالغ طائلة قد تصل إلى مليون دولار.

ويرى السكان أن السمتفيد من هذه الممارسات هو النظام، حيث تحقق له هدفين، ويتمثل الأول في النيل من سمعة الجيش الحر، بحجة أن هذه المبالغ تذهب إلى تسليحه. والثاني :هو شرخ وحدة الصف والتضامن بين هذه القرى، علماً أن أغلبها يساندون الثورة.

ولم تقتصر عمليات هذه العصابات على البشر فقط ، فقد توجهوا صوب تجارة الآثار. بعدما مهد لهم النظام الطريق، وذلك عند استهدفه المواقع الاثرية في أريحا، ومتحف حماة وقلعتي المضيق والحصن وبعض الأحياء القديمة داخل حمص، ومؤخراً سرقة المنحوتات واللقى الاثرية في قلعة جعبر بالرقة، وكذلك الحال القيام بالحفريات ليلاً في بعض القرى التابعة لمحافظة حلب من طرافيها الشمالي والشرقي لنبش القطع الاثرية والمتاجرة بها.

المسؤول التنظيمي للمجلس الثوري في إدلب اعتبرأن مواقف الغرب تخدم «القاعدة»

أحمد عثمان: الإخوان يسيطرون على ١٥٪ لكنهم يتحكمون بالمجلس الوطني

إدلب – «البديل»

قال أحمد عثمان المسؤول التنظيمي في المجلس الثوري العسكري في إدلب إنّ مواقف الدول الغربية من الثورة السورية تساعد على إيجاد موطئ قدم لتنظيم القاعدة، محذراً أنه في حال ترك المجتمع الدولي الكتائب العسكرية لمصيرها فإنها ستجبر على الاستنجاد بـ«القاعدة»، مشيراً إلى ان المجلس العسكري الثوري يعمل حالياً على إعادة تشكيل الكتائب العسكرية لتنقيتها من التأثيرات الدينية، وهذا مرتبط بالدعم الذي سيتلقونه، مضيفاً أن الاخوان المسلمين فقدوا الكثير من رصيدهم الشعبي، لأنهم تحدثوا كثيراً وفعلوا القليل في مجال دعم الثوار.

وفي حوار مع «البديل» قال أحمد عثمان، وهو مهندس طيران ويتولى مسؤولية الاتصال والتنسيق بين ٤٠ كتيبة، إن الحديث الذي يتم تداوله حول الدعم العسكري للثوار يعادل عشرة أضعاف الحجم الحقيقي لهذا الدعم، ولم تصل سوى كميات محدودة لا تشكل فرقاً على الأرض، مضيفاً أن مساعدات عسكرية محدودة جداً وصلت منذ فترة إلى أشخاص محددين لضمان عدم وقوعها في أيدي جماعات متطرفة، لكن لا يوجد دعم رسمي حتى الآن على عكس التصريحات التي فهم منها البعض أن قطر والسعودية بدأتا بتسليح الثوار. وأضاف عثمان أن المجلس الثوري يفضل أن يأتي الدعم من دول عربية، لكن إذا استمروا في إطلاق التصريحات من دون فعل حقيقي فإنهم سيلحقون بنا الضرر، لأنهم بذلك يشجعوننا على القتال من دون توفير الحد الأدنى لمستلزماته، وهذا يعني دفعنا إلى الانتحار.

وقلّل المسؤول التنظيمي من المخاوف الغربية حول تغلغل تنظيم القاعدة في صفوف الثوار، قائلاً: إن «القاعدة» غير موجودة بالشكل الذي يتم تصويره في تقارير الصحف الغربية، هناك أفراد يأتون من خارج سوريا، وهؤلاء لا يشكلون خطراً كبيراً لأنهم لا يحظون بدعم المجتمع الثائر، لكن الخطورة هو أن تجد دعاية القاعدة مكانا لها في سوريا. وهذه مسؤولية الدول التي تدعي أنها تحارب هذا التنظيم، فالدول الغربية هي التي تساعد القاعدة عبر ترك الشعب السوري لمصيره، والتخلي عنه أمام مذابح النظام، وهم مسؤولون عن ولادة التطرف، ونحن نخشى أن تكون هذه سياسة متفق عليها فيما بينهم لأسباب تتعلق بتوازنات السياسة الدولية. وأضاف: نريد من الدول التي تخشى تنظيم القاعدة أن تثبت أنها قلقة وليست مطمئنة. وحول ضرورة وجود كتائب بعيدة عن الطابع الديني لتكون مؤهلة لتشكيل نواة لجيش وطني غير مؤدلج دينياً، كشف عثمان أنهم يعملون حالياً على إعادة هيكلة الكتائب التابعة للمجلس الثوري العسكري التي تضم نحو ٤٠ كتيبة. وأضاف: «تضم هذه الكتائب نحو ٥٠٠٠ آلاف من أكفأ المقاتلين في محافظة إدلب، وهناك آلاف التحقوا حديثاً بجبهات القتال، ويشكل المجلس من ٧٠ إلى ٨٠ ٪ من القوة العسكرية للثوار في إدلب تحت قيادة العقيد عفيف سليمان»، مستدركاً أن القيادة الميدانية هي لأحد أشهر الشخصيات المقاتلة في جبل الزاوية، ويدعى جمال معروف، ثم الرائد أبو أسامة، وهو من القنيطرة، ويعتبر عصب المجلس الثوري الذي يتميز بأنه لا يتبع لأية قيادة في الخارج، وقد يتم تغيير العقيد عفيف سليمان لدى إعلان الهيكل الجديد للمجلس الثوري، وهو غير المجلس العسكري الأعلى الذي يقوده العميد مصطفى الشيخ.

وأكد عثمان أن هذا التشكيل العسكري يعارض تسرب التطرف الديني إلى صوف الثوّار، وأن الوضع في إدلب لم يخرج عن نطاق السيطرة كما يشيع البعض، وكل ما نحتاجه هو الدعم وبشكل سريع حتى تحل التشكيلات المتطرفة نفسها لأن الملتحقين بالثورة ينضمون إلى الجهة التي توفر لهم الإمكانيات ولا علاقة للتوجهات الدينية بالأمر، وهذا يعني أنه إذا لم نتلقَ الدعم من العرب والدول الغربية فإن الثوار سينضمون إلى أي جهة تقدم لهم الإمكانيات القتالية. وقال إنّ ما يسمح بظهور مجموعات ترفع الشعارات الدينية هو صعوبة الاتصال، وهذه مشكلة تقنية نتمنى أن نتغلب عليها عبر الدعم غير القتالي الذي تحدثت عنه دول غربية. وأضاف: «من يدعم سيكون له دور في القرارات».

وأضاف عثمان أن هناك خيبة أمل من الاخوان المسلمين، حيث كان متوقعاً منهم أكثر بكثير مما يقومون به، وأصبح رصيدهم ضعيفاً في المجتمع، وهم يحاولون تعويض ذلك بالنشاط السياسي، والسيطرة على المجلس الوطني، إضافة إلى إثارة تعاطف الناس القديم معهم. مشيراً إلى أن دعمهم يكون انتقائياً، ويكون مقابل الولاء لهم. ولفت إلى أن نسبة الموالين لهم في صفوف الثوّار المقاتلين لا تتجاوز ١٥ ٪ في محافظة إدلب.

الشهيد حسن أزهري..إعلامي اللاذقية الذي حلم بترميمها من «الاحتلال»

قسم التوثيق–البديل

منذ بداية الثورة السورية كانت لمظاهرات اللاذقية طعم خاص، حيث عرف على مدى سنوات أنها كانت معقل عصابة الشبيحة في عصرها الذهبي، لذا فإن أول عملية تهجير منظمة قام بها النظام استهدفت اهالي حي الرمل. ورغم كل عمليات التصفية إلا أن اخبار المدينة كانت تصل إلى الاعلام أولاً بأول بفضل مواطنين اتخذوا قرارهم في لحظة ثورية بأن يكونوا عين الحقيقية، ومنهم الإعلامي الشهيد حسن أحمد أزهري.

تطوع الشهيد (٢٦ عاماً) ليكون إعلامي الثورة في اللاذقية منذ انطلاقتها، وهو طالب في السنة الأخيرة (السنة الخامسة) في كلية الصيدلة. وانضم إلى لجان التنسيق المحلية ليكون منسق المظاهرات في اللاذقية، حيث قام بتوثيق الحراك الثوري في مدينة تغيرت معالمها بشكل كلي منذ وصول حافظ الأسد إلى السلطة، وتركت لدى أهاليها هاجس ترميمها من الخراب الذي حلّ بها. كانت للشهيد رؤية ثورية لمدينة اللاذقية، فتصاعد الحراك فيها له تأثير مزلزل في نفوس الموالين للنظام، وقد يدفعهم ذلك إلى مراجعة خياراتهم في البقاء إلى ما لا نهاية مع نظام الأسد. فأصبحت اللاذقية (عروس الساحل) بفضل جهود مجموعة من الناشطين وعلى رأسهم أزهري هي المدينة الأولى التي طالبت بإسقاط النظام.

وقام أيضا بتصوير العديد من انتهاكات جيش النظام في منطقته عبر سلاحة الوحيد «الكاميرا»، وساهم أيضاً في تدقيق أسماء الشهداء والمعتقلين إلى أن تم اعتقاله بتاريخ ١٣–٤–٢٠١٢ من دون أن يعلم أحد حتى اللحظة ملابسات الإعتقال...قضى في سجون الاسد ما يقارب الشهرين، وتعرض خلال تلك الفترة إلى أشد أنواع التعذيب كما قال أحد معارفه الذي كان معتقلاً وأطلق سراحه اثناء تواجد حسن في المعتقل.

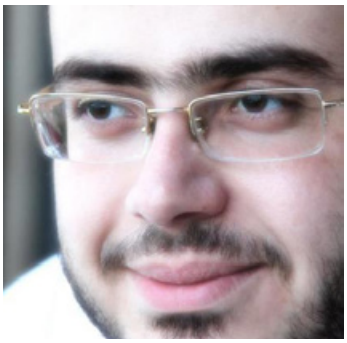

في ١١–٦–٢٠١٢ تلقى ذوو حسن اتصالا هاتفياً من المشفى العسكري في دمشق طالبا منهم الحضور لإستلام جثة الشهيد، و منذ وصول الخبر إلى اللاذقية خرجت عدة مظاهرات تنديداً بقتل طالب الصيدلة. وقال أصدقاء مقربون من عائلته إنه استشهد في ١٧ أيار الماضي تحت التعذيب، ولم يتم الافراج عن جثته إلا في ١١ حزيران.

بحسب ورقة النعوة التي نشرتها عائلته، تبين أن مخابرات النظام رفضت تسليم جثمان الشهيد إليهم، وطلبت من والده العودة إلى مدينة اللاذقية، وقالوا له إنه قاموا «بالواجب» أي دفنوه في دمشق.

سوق النحّاسين

من بين المشاهد التي نقلها الناشط السوري عمر إدلبي في عاصمة الثورة السورية هو تدمير النظام الأسدي لسوق النحّاسين في حي باب هود، وأصبح السوق ركاماً لم يبقَ منه سوى صدى طرق الحرفيين على أواني النحاس.

وتتميز معظم المدن السورية بوجود سوق للنحّاسين في أقدم أحيائها، ويعتبر أحد علامات عراقة المدن وصلة وصل تراثية بين ماضي البلد وحاضره، فمن دمشق إلى حلب وحماة واللاذقية وحمص يتمركز أمهر الحرفيين في هذه الأسواق، إلا أن معظمها دفع ثمن تحول سلطة الأسد الأب إلى احتلال كامل للبلاد. وقد يعتبر البعض أن احتلال الأسد أصبح شمّاعة لكل المساوئ والسلبيات، لكن الحقيقة أنه لو أراد هذا النظام خيراً لمثل هذه الأسواق لما تردد في تنفيذ مطالب حرفييها بعدم دفعها إلى الاندثار، ولنا في مثال الأغنية الشعبية لعلي الديك وغيره خير دليل على ذلك، حيث لم يتردد النظام عبر أذرعه الاعلامية في إطلاق إذاعة «صوت الشباب» لتصبح رافعة الذوق الغنائي الجبلي وتعميمه على السوريين، وجاءت هذه المحاولات التي كان لها دور في هبوط الذوق الشعبي لتكون الرافعة الغنائية التي تصدح في مديح بشار الأسد بمئات المواويل التي وصل بعضها إلى حد تأليهه، ومعها بدأت عملية إعادة تأهيل الشبيحة ليكونوا مجرمي النظام.

لم يكن بإمكان النحّاسين تقديم مثل هذه الخدمات للنظام، فلم يبتكروا طرقات على الأواني توازي إيقاع هتاف الشبيحة «بالروح بالدم نفديك يا بشار»، ولم يصنعوا أواني نحاسية عليها صورة هذا الدكتاتور الصغير، كما لم يفعلوا مع والده أيضاً، لهذا ليس في سوق النحاسين ما هو لبشار الأسد وجماعته، وهم قوم لا يحملون في موروثهم التاريخي المحلي أي شيء له صلة بالفنون والحرفة. وبينما دكت مدافع الدكتاتور الأب مدينة حماة ودمرت معها سوق النحاسين، يكرر الابن فعلة أبيه على نطاق أوسع في حمص، وفي مناطق أخرى بدأ بتدمير هذه الأسواق منهجياً، وبشكل تدريجي، فقبل سنتين قامت جهات رسمية بقلع البلاط القديم في سوق النحّاسين بحلب، ونقلته إلى جهة غير معلومة، وقال البعض حينها إنها مخصصة لترصيف مدخل فيلا أحد أفراد «الحاشية».

أسواق النحاسين التي تعتبر شواهد فنية تتحوّل اليوم إلى أطلال، وإذا كانت البداية مع حمص فقد هدد بشار الأسد تجار دمشق بقصف سوق الحميدية.

و لصناعة النحاسيات مراحل عديدة معقدة لكنها تتضمن الدقة لتكون تحفة فنية، منها مرحلة صب النحاس، ومرحلة التبريد، والزخرفة أو الرسم، ثم التلميع، والتبييض، وهي تحتاج إلى الكثير من الصبر. فما أشبه هذه المراحل بما تنجزها الثورة السورية التي لا تشبه مراحل الألومنيوم في شيء ؟!.

سردار جان

إذا ما عدنا

شعر: حسام ميرو

إذا ما عدنا
وعادت لنا الطرقات
سأشرب قهوتي على شرفتك
وأنظرُ إلى الصباح بعينين رائقتين
وسأقول من صميم قلبي: كم أحبك يا بلاد

إذا ما عدنا
وعادت ملاعب الصبا
سآخذ الطفل
إلى حنفية الماء في زقاق القيمرية
كي يستعيد قليلاً ذاكرة الارتواء
كي يستعيد
قوس أحلامه والنشيد

إذا ما عدنا
وعادت لنا طاولاتنا في المقاهي
سنرمي الصبايا العابرات فوق الرصيف
بأزهار أشواقنا
ثم نكمل الحوار
عن أي شيء
لا يصيب القلب بسهم الحزن
أو يعكر صفو مجلسنا
وسنحدث أنفسنا ونقول:
لم تكن غيبتنا طويلة
لم تكن
سوى غمضة عين في رحلة الفصول.

إذا ما عدنا
وعادت لنا حرية أن نزور المقابر
سأخبر أمي
بأني قريب من حكاياتها
وبأني لم أبتعد سوى خطوتين
وعدت سريعا
إلى بيتنا
سأقول لها لا تخافي فما زال بيتنا بيتنا
وما زال إخوتي مثلما كانوا جميلين
وما زالوا أيضاً فقراء
وقلوبهم عامرة
مثل موائد الربيع.

إذا ما عدنا
وعاد لنا تواضع الأنبياء
سأعتذر من بساتين حمص
ومن نواعير حماة
سأعتذر من سهل حوران وأهله الطيبين
ومن قمح الشمال
سأعتذر من زيتون إدلب
ومن بحر اللاذقية
سأعتذر لبلاد تركناها للعابرين

إذا ما عدنا
وعادت لنا حرية الاختيار
بين الصمت وبين الكلام
سأختار صمتاً طويلاً
وإصغاءً طويلاً
كي أسمع ما يقوله الصغار
وما تقوله الأشجار للأشجار

إذا ما عدنا
وعادت لنا أقدامنا حرة
سأمضي حافياً

سبع نهارات وست ليال
بين نافورة الوجد
وأشواق الخيال

إذا ما عدنا
وعادت لنا عاداتنا
سأمرُّ صباحاً على الفرن
كي آخذ الرغيف
طازجاً
ولن أخشى بعدها
لن أخشى أن يداهمني الخريف

إذا ما عدنا
وعاد جيراننا إلى بيوتهم آمنين
سيكون علينا أن نقيم عرساً
كي نزوج البلبل للياسمين

إذا ما عدنا
إذا ما عدنا يا مدى
فكن حساماً في وجه السواد
وكن أريجاً للحالمين
وكن أنت
كن
ولا تكن صدى للآخرين

* **مقاطع من القصيدة**